الشخصية والفردية

للاستاذ محمد محمد علي

كلمتان كثيرا ما يخلط بينهما ، فتستعمل إحداهما في موضع الأخرى ، وفي الوقع أن هناك اختلافا بينهما .

فالقدماء الأقدمون أن الشخصية personality شيء لا يمكن إدراك كنهها أو تحليلها . إنما هي مجموع صفات الفرد ، الموروثة والمكتسبة ، فتشتمل على شكله الظاهري ودرجة ذكائه وثقافته واستعداداته ومواهبه ، والمثل الذي يستهدف اليها ، والمبادىء التي يعتنقها ، والعادات التي يكتسبها ، كل تلك العناصر والمقومات تؤلف الشخصية (١) . وأحدث تعريف للشخصية هو أنها نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية ، التي تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تميزا بينا . وللشخصية جانبان : جانب ذاتي يعبر عنه بالانية le moi أي شعور الشخص بذاته ، وهذا الشعور يتطور من الشعور بالذات الجسمية فالنفسية والاجتماعية . والجانب الآخر موضوعي ، ويعرف بالخلق character وهو نظام متكامل من السمات والميول النزوعية تتيح للفرد أن يسلك — إزاء المواقف الخلقية وأوضاع العرف — سلوكا متفقا مع ذاته ، على الرغم مما يواجهه من عقبات (٢) .

ومن دلائل النضج العقلي تكامل الشخصية ، وهو عبارة عن تضامن مقوماتها المختلفة وتوافقها وتضافرها وانتظامها ، حتى يكون سلوك الفرد ثابتا متزنا لا تنافر بين مظاهره ، الأمر الذي يجعل الفرد يتكيف مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه . ويساعد على تكامل الشخصية (٣) ؛ التربية الرشيدة مع التوجيه السديد في بيئة منظمة تكفل حياة هادئة . وليس أضر بتكامل الشخصية من التربية الغاشمة القاسية حينا ، والمتساهلة أحيانا ، مما يميت في الطفل قوة الاعتماد على نفسه ، في بيت محطم انعدم الانسجام بين أفراده .

وليس من شك في أن الشخصية خير مقياس لنمو الفرد ، ومكانته في المجتمع .

أما الفردية individuality فهي صفة أو ميزة للفرد ، وهي أن يسلك الفرد سلوكا يختلف عن سلوك غيره . فلا يتأثر بالغير إلا قليلا ، وقلما يطيع العادات أو ينقاد إلى التقاليد . ذلك أن تأثره بالبيئة يكون مبنيا على فهم وتبصر بالغرض من سلوكه . وحتى لو اتبع أمرا اتبعه غيره ، فانما يفعل ذلك عن عقيدة ودراسة وليس طاعة أو تقليدا أعمى . ولا شك أن الحياة البدائية تعوق الفردية بتقاليدها الموروثة الجامدة التي تتبع النظام الطوطمي Toremism (والطوطم مجموعة أشياء مادية ينظر اليها البدائي نظرة الاجلال والاحترام يتخذها رمزا للأب أو الجد الأعلى وتحميه من الاخطار) واللاماسات tapoo ، وهي تحريمات وقيود تفرض بازاء إنسان

---

(١) دكتور أحمد عزت راجح : مشاكل الشباب النفسية (١٩٤٥) ص ١٦ .

(٢) القاموس الملحق بكتاب الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام . (١٩٤٨) .

(٣) مجلة علم النفس : مجلد ٣ عدد ١ (يونية ١٩٤٧) ص ١٠٨

محدثين ، وكان أبو عمرو يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته (١)

قال المبرد : ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كلاما يستحقه (٢)

وأنكر ابن المعتز عصبية هؤلاء النقاد للشعر القديم وذمهم لشعر المحدثين ، وقال إنها عيب قبيح ، ومن فعل ذلك فانما غض من نفسه وجعل هذا ناشئا عن جهل بنقد الشعر وتمييزه . (٣)

وكان الجاحظ هو السابق إلى إقامة نقد الشعر على أسس فنية خالصة ، وحارب هذا التعصب المقوت للقديم لقدمه ، وآراؤه في ذلك كثيرة في « البيان والتبيين » و « الحيوان » وسواهما ، ففي « الحيوان » ينكر الجاحظ على المتعصبين للقديم فعلهم ويقول: ولو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان

(للكلام بقية)

محمد عبد المنعم خفاجي

---

١) ٧ و ٨ الشعر والشعراء

٢) ١٨ /١ كامل المبرد (٣) ١٧٥ و ٧٦ : أخبار أبي تمام للصولي